اللسان ورده إلى مكانه ، وكلاهما صعب على اللسان ، والسهولة من ذلك في الاعتدال ؛ ولذلك وقع في الكلام الإدغام والإبدال .»[١]

ولا شك في أن الخليل كان يمتلك حاسة جمالية بالنسبة لنَغْمَة الحرف واتصاله بغيره من الحروف ، وفي ذلك يروى عنه أنه سمع كلمة شنعاء وهي (الهعخع) وأنكر ما فيها من تنافر[٢] . وقد أصبحت اللفظة بعد ذلك مضرب المثل للتنافر في كتب الدارسين .

وقد اعترض ابنُ سنان على ما ذهب إليه الخليل والرماني ، ولم ير التنافر في بعد ما بين مخارج الحروف ، وإنما في القرب ؛ والدليل على صحّة ذلك الاعتبار كلمة (ألم) فهي غير متنافرة ، على الرغم من أنها مبنية من حروف متباعدة المخارج ؛ لأن الهمزة من أقصى الحلق ، والميم من الشفتين ، واللام متوسطة بينهما[٣] .

وانطلاقًا من هذا المفهوم شرط ابنُ سنان في اللفظة الواحدة أن تتألف من حروف متباعدة المخارج ، وربط في هذا بين مستوى الإدراك السمعي ومستوى الإدراك البصري ، فالألوان المتباينة تحسن في النظر من الألوان المتقاربة ، وهذا الحسن يتوفر أيضًا في تركيب الحروف في اللفظة[٤].

واعترضه ابن الأثير بأن حاسة السمع هي الحكَم في هذا المقام ، بحسن ما يحسن وقبح ما يقبح ؛ ذلك أننا إذا سألنا شخصاً ما عن لفظة : أ حسنة هي

(١) الرماني : النكت في إعجاز القرآن ، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي وعبد القاهر ، تحقيق : محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول سلام . ط ٢ القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٨ . ص٩٦ . (٢) ابن سنان الخفاجي : سر الفصاحة ، شرح وتصحيح عبد المتعال الصعيدي . القاهرة ، مكتبة صبيح ، ١٩٦٩ . ص ٤٨ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٩١ . (٤) المرجع السابق ، ص ٥٤ .